الأديبُ المؤرخُ شِهَابُ الدِّين ابنُ عَرَبْشَاه: «حياتُهُ وآثَارُهُ» بين المصادر العربية والموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي

د. رجب عبد الوهاب

جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفيّة - استانبول

ملخَّص

يتناول هذا البحث حياة علَم من أعلام القرن التاسع الهجري وآثاره، عاش بين الشام ومدن المشرق الإسلامي وبلاد العثمانيين ومصر، وهو الأديب المؤرِّخ صاحب التصانيف المختلفة شهاب الدين ابنُ عربشاه الدمشقي (ت ٨٥٤هـ) من خلال ما كتِب عنه في المصادر العربية وما كتِب عنه في الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي، وقد تبين من خلال البحث والمقارنة في هذه المصادر أن ثمّة اختلافات في بعض الأحداث التي مرّت في حياة ابن عربشاه، وفي عدد أولاده، وفي عدد الكتب التي ألّفها وفي عناوين بعضها، وفي كلّ هذه الاختلافات حاول البحث ترجيح الرواية الأقرب للقبول من خلال الأسانيد التاريخية، وبخاصّة إن كان ما يعضد الترجيح هو ما كتبه ابن عربشاه عن نفسه فيما أرسله لصديقه المؤرخ جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، وأثبته الأخيرُ في كتابه «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي.»

الكلمات المفتاحية: ابن عربشاه – المصادر العربية – الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي.

Arapça Kaynaklar ve Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisinde Tarihçi Edip Şihâbüddin İbn Arabşâh: Hayatı ve Eserleri

Dr. Receb Abdülvehhâb

Özet

Bu araştırma, hicrî IX. asırda Şam, Osmanlı coğrafyası ve Mısır'da yaşamış bir ismin hayatını ve eserlerini ele almaktadır. Bu isim, edebiyatçı, tarihçi ve birçok alanda eser sahibi olan İbn Arabşâh ed-Dımeşkî (v. 854/1450) dir. Kendisi hakkında Arapça kaynaklarda ve Türkiye Diyânet Vakfı İslâm Ansiklopedisi'nde yazılanlardan hareketle, bu araştırmada ve söz konusu kaynaklarda yapılan karşılaştırmalar neticesinde İbn Arabşâh'ın hayatında yaşadığı bazı olaylar, çocukları ve telif ettiği kitaplar gibi hususlar hakkında görüş ayrılıklarının olduğu ortaya çıkmıştır. Bu çalışmada, ihtilaflar konusunda tarihi isnatlardan yola çıkarak tercihe şayan olan rivayetlere dayalı sonuçlar zikredilmiştir. Özellikle rivayetler arasındaki tercihte dayanak olan husus, İbn Arabşâh'ın, tarihçi arkadaşı, Ebü'l-Mehâsin Cemalüddîn Yûsuf b. Tağrîberdî (v. 874/1470) ye gönderdiği özgeçmişinde bizzat kendisi hakkında yazdıklarıdır. Bunu İbn Tağrîberdî, el-Menhelü's-Sâfî ve'l-Müstevfî Ba'de'l-Vâfî eserinde kaleme almıştır.

Anahtar Kelimeler: İbn Arabşâh- Arapça kaynaklar- Türkiye Diyânet Vakfı İslâm Ansiklopedisi'n.

The Historian Shihāb al-Dīn Ibn 'Arab Shāh: His Life and Works in the Arabic Resources and the Islamic Encyclopedia of Turkish Dīyānat Endowment

Dr. Rajab Abdulwahhāb

Abstract

This research focuses around the life of the famous 9th century scholar Shihab al-Din ibn Arabshah (d 854 hicri), a Damascene poet and historian with several remarkable writings who spent his life between Sham, the Muslim East, and Ottoman and Egyptian lands. The study draws upon Arabic and Islamic sources including references from the Turkish Religious Directory (Diyanet) (DİA). Through comparison and examination, different narratives about his life incidents, the number and titles of his writings, and the number of his children were identified. The study suggests about the most acceptable narrative using a range of historical documents, including ibn Arabshah's own letters to his historian friend Jamal al-Din Yusuf bin Taghribirdi (d 874 hicri) which the later has documented in his book 'Al-Manhal al-safi wal Mustawfi ba'd al-Wafi'.

Keywords: Ibn Arabshah- Arabic sources- the Turkish Religious Directory.

مقدمة

ابنُ عربشاه (ت ٨٥٤هـ) أديبٌ لغويٌّ ومؤرِّخ دمشقيُّ الأصلِ من أعلام القرن التاسع الهجري، وهو نموذج من العلماء الذين تعبِّر حياتهم عن انفتاح العالم الإسلامي آنئذ على مصراعيه أمام العلماء، يتنقلون بين مدنه دون حواجز أو عوائق، وأينما حلّوا وجدوا التقدير وأُنزلوا منازلهم التي تليق بهم وبعلمهم الذي رفع ممالك الإسلام في هذه القرون البعيدةِ عنَّا.

أفاضت المصادر العربية في الحديث عن حياة ابن عربشاه وآثاره، فقد ترجم له ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، والسخاوي (ت ٩٠٢هـ)، والسيوطي (٩١١هـ) ممن عاصروه، كما ترجم له المتأخّرون من أمثال تقي الدين الغزي (ت ١٠٠٥هـ)، وابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، وحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، وغيرهم ممن جاؤوا بعدهم، كما كتب ابن عربشاه نفسه ملخّصًا لسيرة حياته أرسله إلى صديقه المؤرخ أبي المحاسن ابن تغري بردي، وأثبته ابن تغري بردي في كتابه «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي»، والملاحظ أن هناك اختلافات بين هذه المصادر في بعض المعلومات كالاختلاف في اسمه ونسبه، أو الاختلاف في عناوين بعض كتبه.

حرَّر الأستاذ عبد القادر السيد يوالي (Abdülkadir Yuvalı) مادة «شهاب الدين ابن عربشاه» في الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي معتمدًا على بعض المصادر، ومنها مصادر عربية، إلا أن ما يلفت الانتباه فيما كتبه يوالي أنه يخالف في بعض الأحيان ما كتبه ابن عربشاه عن نفسه، ويخالف ما كتبه عنه أصدقاؤه من أمثال: ابن تغري بردي والسخاوي والسيوطي؛ بالإضافة إلى إهماله بعض المعلومات المهمّة في حياة ابن عربشاه، وبخاصّة فيما يخصّ عناوين كتبه؛ كما يلاحظ أنه أضاف معلومات ليست في المصادر العربية؛ لذا يأتي هذا البحث محاولة لتدارك النقص والتنبيه على المختلف في الجهتين للخروج بصورة متكاملة عن حياة الأديب المؤرخ شهاب الدين ابن عربشاه وآثاره.

١: مصادر ترجمته

يمكن تقسيم المصادر التي ترجمت لابن عربشاه قسمين:

الأول: ما كتبه ابن عربشاه عن نفسه

كتب ابن عربشاه ترجمةً لحياتِه مرَّتين: **الأولى**؛ منظومةٌ سمَّاها «عقود النصيحة» أو «عنقود النصيحة» كما يذكر حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)،[١] وإسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)،[٢] وهذه المنظومة نقل جزءًا منها تقي الدين الغزي (ت ١٠٠٥هـ) في كتابه «الطبقات السَّنِية في تراجم الحنفية».[٣]

الثانية، ملخّصٌ بسيرة حياته وبعض مؤلّفاته، أرسله إلى المؤرخ أبي المحاسن ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، سنة ٨٥٣هـ، وهو مقيمٌ بالقاهرة، فأثبته الأخيرُ في كتابه «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي».[٤]

يضاف إلى ما سبق ما كتبه ابن عربشاه عن نفسه، وذكره لبعض كتبه وأحواله ورحلاته في كتابه «التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر».[٥]

الثاني: ما كُتِبَ عنه في كُتُبِ التراجم والطبقات

يقع ضمن هذا القسم كثير من الكتب التي تشير تفصيلًا أو إجمالًا إلى ابن عربشاه وحياته وكتبه والوظائف التي تولّاها، وأهمّها ما كتبه صديقه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»،[٦] والسخاوي (ت ٩٠٢هـ) في كتابيه «الضوء اللامع»،[٧] و«التبر المسبوك»،[٨] والحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) في «نظم العقيان»،[٩] وتقي الدين الغزّي في «الطبقات السنية»،[١٠] وما جاء عند ابن العماد (١٠٨٩هـ) في «شذرات الذهب»،[١١] وعند

١ كشف الظنون، لحاجي خليفة ٢/ ١١٧٤.
٢ هدية العارفين، للبغدادي ١/ ١٣٠.
٣ الطبقات السنية، لتقي الدين الغزي ٢/ ٥٩.
٤ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٣١- ١٤٥.
٥ التأليف الطاهر، لابن عربشاه، لوحات متفرقة.
٦ النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ١٥/ ٢٧٢- ٢٧٤.
٧ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٦- ١٣١.
٨ التبر المسبوك، للسخاوي ٣/ ٥٤- ٥٧.
٩ نظم العقيان، للسيوطي ٦٣.
١٠ الطبقات السنية، لتقي الدين الغزي ٢/ ٥٥- ٥٩.
١١ شذرات الذهب، لابن العماد ٤: ٧/ ٢٨٠- ٢٨٤.

حاجّي خليفة في «كشف الظنون»،[١] وفي «سلم الوصول»،[٢] وما سطَّره إسماعيل باشا البغدادي في «هدية العارفين»،[٣] وخير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ) في «الأعلام»،[٤] وفي غير ذلك من المصادر والمراجع،[٥] وما كُتب عن ابن عربشاه في الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي.[٦]

وأهم ما يلاحظ على هذه المصادر التي وصلتنا عن ابن عربشاه، سواء التي كتبها هو بنفسه أو التي كتبها عنه غيرُه، أنَّها أهملت الحديثَ عن طفولته المبكِّرة في دمشق، كما أهملت الحديث عن حياته الأسرية، وركّزت على رحلاته العلمية والمشايخ الذين قابلهم وتتلمذ على أيديهم، وإن كانت لا تعطينا في الغالبِ إلا اسم الشيخ دون معلوماتٍ تفصيليةٍ عنه، ومن ثم سيتمّ الاستعانة بمصادر أخرى لسدِّ هذه الثغرات.

٢: اسمه ولقبه وكنيته

وقَّع ابن عربشاه باسمه في نهاية ملخّص سيرة حياته الذي أرسله إلى صديقه ابن تَغْرِي بَرْدِي فجاء اسمه بتوقيعه «أحمدُ بنُ مُحمَّدِ بن عبدِ اللهِ بن إبْراهيمَ بن عَرَبْشَاه الحنَفِي»،[٧] وتتفق أغلب المصادر بعد ذلك على الاسم حتى «إبراهيم»،[٨] أمَّا السخاويُّ فينفرد بزيادة لم يذكرها غيرُه، فيزيد على ما تقدَّم «ابنُ أبي نصرٍ مُحمَّدِ بن عَرَبْشَاه بن أبِي بَكْرٍ»،[٩] ثم ينقل عنه غيره،[١٠] وكذلك يزيد عبد القادر يوالي بعد «إبراهيم» قوله: «ابن الشاه

١ كشف الظنون، لحاجي خليفة، صفحات متفرقة.

٢ سلم الوصول، لحاجي خليفة ١/ ٢١٥- ٢١٦.

٣ هدية العارفين، للبغدادي ١/ ١٣٠.

٤ الأعلام، لخير الدين الزركلي ١/ ٢٢٨.

٥ منها: تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٦/ ١٠٤- ١٠٥، وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ١٤/ ٤٥٤- ٤٥٦، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق سليم ٥/ ٤٨٢- ٤٩٩، وتاريخ الأدب العربي «عصر الدول والإمارات» لشوقي ضيف، ص ٨٢٩- ٨٣١، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ٣/ ٨٥٤- ٨٥٨.

٦ Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, XIX, 314-315.

٧ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٤٤.

٨ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٣١، والنجوم الزاهرة، له ١٥/ ٢٧٢، والضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٦، والتبر المسبوك له ٣/ ٥٤، والطبقات السنية، لتقي الدين الغزي ٢/ ٥٥. Yuvalı, DİA, XIX, 314.

٩ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٦.

١٠ سلم الوصول، لحاجي خليفة ١/ ٢١٥.

الأنصاري»،[١] في حين يضع السيوطي «ابن علي»[٢] بدلًا من «ابن إبراهيم»، والمؤكّد أن ابن عربشاه كان أكثر الناس دراية باسمه، وإن كان للسخاوي ما يجعلنا نثق في زيادته، حيث لَقي ابن عربشاه بِالْقَاهِرَةِ فِي الخانقاه الصلاحية سنة خمسين وثمانمائة.[٣]

أمَّا لقبُ ابن عربشاه فهو «**شهابُ الدِّينِ**» باتفاق المصادر،[٤] ويُنسب إلى دمشق فيقال: «**الدِّمَشْقِيُّ**»[٥] لمولده داخل دمشق كما سيرد بعد قليل، وإلى بلاد العجم فيقال: «**العَجَمِيُّ**»،[٦] وإلى بلاد الروم فيقال: «**الرُّومِيُّ**»[٧] ولعل ذلك لتجوّله بين بلاد العجم والروم كما سيتّضح من خلال الحديث عن رحلاته العلمية، وينفرد حاجي خليفة بنسبته إلى العثمانيين، فقال: «العُثْمَانِيُّ»، وإلى هَمَدَانَ من بلاد العَجِم، فقال: «الهَمَدَانِيُّ»،[٨] أمَّا «**ابنُ عربشاه**» فهو الذي غلب عليه واشتهر به.[٩]

ولابن عربشاه كنيتان فابن تغري بردي يُكنيه بـ«**أبي العباس**»،[١٠] أما السخاوِي فيقول: «**أبو مُحمَّد**»،[١١] وعنهما نقل باقي مترجميه على اختلاف في الكنية التي يختارها المترجم، مما يعني أن الكنيتين له، ويبدو أن كُنية «أبي العباس» هي التي شاعت ففضّلها عبد القادر يوالي.[١٢]

١ Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

٢ نظم العقيان، للسيوطي ٦٣.

٣ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٩.

٤ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٣١، والنجوم الزاهرة، له ١٥/ ٢٧٢، والضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٦، والتبر المسبوك، له ٣/ ٥٤، ونظم العقيان، للسيوطي، ص ٦٣، والطبقات السنية لتقي الدين الغزي ٢/ ٥٥. Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

٥ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٣١، والنجوم الزاهرة، له ١٥/ ٢٧٢، والضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٦، والتبر المسبوك، له ٣/ ٥٤، ونظم العقيان، للسيوطي، ص ٦٣، والطبقات السنية لتقي الدين الغزي ٢/ ٥٥. Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

٦ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٦. و Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

٧ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٦، وهدية العارفين، للبغدادي ١/ ١٣٠. و Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

٨ سلم الوصول، لحاجي خليفة ١/ ٢١٥.

٩ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٣١، والنجوم الزاهرة، له ١٥/ ٢٧٢، والضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٦، والتبر المسبوك، له ٣/ ٥٤، ونظم العقيان، للسيوطي، ص ٦٣، والطبقات السنية لتقي الدين الغزي ٢/ ٥٥. Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

١٠ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٣١.

١١ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٦.

١٢ Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

٣: مولده

أرَّخ ابن عربشاه لتاريخ مولده في الملخّص الذي أرسله لابن تغري بردي، بقوله: «وأما مولدي فداخل دمشق ليلة الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة»[١] (٢٥ من ذي القعدة ٧٩١هـ) وهو الموافق لخامس عشر نوفمبر سنة ألف وثلاثمائة وتسع وثلاثين للميلاد (١٥ نوفمبر ١٣٨٩م)، وقد نقل هذا التاريخ كلّ من ترجم لابن عربشاه بعد ذلك.[٢] وفي هذا التاريخ كانت دمشق تحت حكم المماليك في مصر، وكان السلطان العثماني بَايَزِيد الأول (ت ٨٠٥هـ) يتوسّع في مملكته على حساب أملاك الدولة البيزنطية، أما في المشرق فكان تِيْمُورلِنْك (ت ٨٠٧هـ) يُجهِّز لغزوِ المماليك والعثمانيين.

٤: وفاته

كان ابن عربشاه في أُخريات حياته في خدمة السلطان المملوكي الظاهر جَقْمَق (ت ٨٥٧هـ)، وفي الثاني من جمادى الآخرة سنة ٨٥٤هـ، قَدِم حميد الدين القاضي (ت ٨٦٧هـ)[٣] إلى السلطان يشكو كُلًّا من البرهان البَاعُونِي (ت ٨٧١هـ)[٤] وابن عربشاه بتهمة هجائهما له، لما كان بينهما من مراسلات تعرّضا فيها لذكر حميد الدين؛ فكتب السلطان إلى الباعوني بالكفّ عن هجائه لحميد الدين، في حين حبس ابن عربشاه في سجن الجرائم قهرًا وظلمًا، ثم أفرج عنه، بعد أسبوعين، فخرج ابن عربشاه من محبسه مريضًا من القهر الذي وقع له، فتُوفي بعدها بقليل.[٥]

اتفقت المصادر التي ترجمت لابن عربشاه[٦] على أنه تُوفِي يوم الإثنين خامس عشر

---

١ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٤٠.

٢ النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ١٥/ ٢٧٢، والضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٧، والتبر المسبوك، له ٣/ ٥٤، ونظم العقيان، للسيوطي، ص ٦٣، والطبقات السنية، لتقي الدين الغزي ٢/ ٥٥. و Abdülkadir Yuvalı, XIX, 314 "İbn Arabşâh", DİA, 1999,

٣ هو محمد بن أحمد بن محمد المراغي حميد الدين الفرغاني الحنفي. هدية العارفين، للبغدادي ٢/ ٢٠٣.

٤ هو شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن ناصر الدمشقي المعروف بالباعوني أبو الفضل الشافعي. هدية العارفين، للبغدادي ٢/ ٢٠٥.

٥ النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ١٥/ ٢٧٢، والضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٧.

٦ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٤٥. والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ١٥/ ٢٧٢. والضوء اللامع، للسخاوي =

شهر رجب سنة أربع وخمسين وثمانمائة للهجرة بالقاهرة (١٥ من رجب ٨٥٤هـ)، وهو الموافق للرابع والعشرين من أغسطس سنة ١٤٥٠ للميلاد (٢٤ أغسطس ١٤٥٠م)، ويضيف ابن تغري بردي أنه دُفن بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة.[١]

٥: أسرته

لم يتحدَّث ابن عربشاه فيما كتب عن نفسه عن آبائه أو أجداده، وكذلك فعل من ترجموا له، أمَّا عن أبنائه، فقد عرفنا منهم ثلاثة عُرفوا جميعًا بابن عربشاه، وليس اثنين كما يذكر عبد القادر يوالي،[٢] وقد اشتهر الأبناء الثلاثة بالعلم والتأليف كأبيهم، ولا ندري إن كان لابن عربشاه أبناء آخرون أم لا.

أول الأبناء الثلاثة- وهو الابن الأكبر- **تاج الدين أبو الفضل عبد الوهاب**، وقد ولد في يوم الثامن عشر من شوال سنة ٨١٣هـ، بحاج طرخان من دشت قبجاق، ثم تحوَّل منها مع أبيه إلى تُوقات، ثم إلى حلب، ثم إلى الشام، وقرأ القرآن وغيره، وتدرّب بأبيه في العربية والفقه وغيرهما، وسمع بقراءة أبيه على القاضي الشهاب ابن الحبال[٣] «صحيح مسلم»، وكذا سمع على عائشة ابنة الشرائحي (ت ٨٤٥هـ)،[٤] وكتب الخط الحسن على شرف بن أميرا، وناب في قضاء دمشق والقاهرة مدّة، ثم استقلّ بقضاء دمشق سنة ٨٨٤هـ، ثم عُزل فعاد إلى القاهرة، فلم يلبث أن شغر تدريس الفقه بالمدرسة الصرغتمشية، ثم كاد يستقرّ في قضاء مصر، وقد حجّ عبد الوهاب في حياة أبيه سنة ٨٥٠هـ، وتُوفي سنة ٩٠١هـ، وله العديد من المصنفات.[٥]

= ١: ٢/ ١٣١. والتبر المسبوك، للسخاوي ٣/ ٥٦. ونظم العقيان، للسيوطي ص ٦٣. وشذرات الذهب، لابن العماد ٤: ٧/ ٢٨٤. وهدية العارفين، للبغدادي ١/ ١٣٠. والأعلام، للزركلي ١/٢٢٨.

١ النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ١٥/ ٢٧٢.

٢ Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

٣ أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن علي بن حاتم، من أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية، له كتاب «النصيحة المختصة». ابن الحبال الحنبلي، ص ٩ من مقدمة المحقق.

٤ هي عائشة بنت إبراهيم بن خليل بن عبد الله بن محمود بن يوسف البعلية، ثم الدمشقية، أخت الشيخ جمال الدين الشرائحي، ولدت في حدود سنة ستين وسبعمائة. الضوء اللامع، للسخاوي ٢/ ٧٣.

٥ في ترجمته ومصنفاته: الضوء اللامع، للسخاوي ٣: ٥/ ٩٧- ٩٨. والكواكب السائرة، لنجم الدين الغزي ٧/ ٢٥١- ٢٥٨. وطبقات النسابين، لبكر أبو زيد، ص١٦٠. وفن القص في مؤلفات ابن عربشاه، لرجب عبد الوهاب، ٣٨- ٣٩.

أمَّا الابن الثاني لابن عربشاه؛ فهو: **بدر الدين حسن** المتوفّى في حدود سنة ٩٠٠هـ، وله كتاب «إيضاح الظلم وبيان العدوان في تاريخ النابلسي الخارج الخوان».[١]

والابن الثالث هو **علاء الدين علي**، وقد ولد سنة ٨٤٨هـ، ويفهم من ذلك أنه ولد بالقاهرة قبل وفاة أبيه بستّ سنوات، وكان أحد الشهود المعتبَرين بدمشق، وقد توفي يوم الثلاثاء حادي عشر شوال سنة ٩١٠هـ، ودفن بالروضة بسفح قاسيون.[٢]

٦: حياته ورحلاته العلمية وشيوخه

حصَّل ابن عربشاه عبر حياته التي امتدّت اثنتين وستين سنة وستة أشهر وعشرين يومًا،[٣] علومًا كثيرة خلال رحلاته التي لم تتوقّف بين أغلب مدن العالم الإسلامي، وهو القائل عن نفسه «ولم يبق من العلوم فنٌّ إلا وكان لي فيه حظٌّ وافرٌ».[٤] ونستطيع من خلال ما كتبه ابن عربشاه عن نفسه وما زاده بعض مترجميه أن نقف على رحلاته وشيوخه والعلوم التي حصَّلها منهم.

أ) من دمشق إلى مدن المشرق الإسلامي

بدأ شهابُ الدين ابن عربشاه تلقّي العلم في مرحلة مبكّرة من عمره، حيث كان يتلقّى تعليمه الديني؛ فقرأ القرآن على الزين عمر بن اللبّان المقرئ (ت ٨٣٠هـ)،[٥] ولم تكن سنّه تجاوزت الرابعة عشرة، وحين دخل تيمورلنك دمشق سنة ٨٠٣هـ بعد أن هُزم أمامه جيشُ السلطان المملوكي فرج (ت ٨١٥هـ)، دمَّر وقتل، وأتى على ما فيها، ونقل منها أصحاب الحرف والصناعات،[٦] مما اضطر كثيرًا من الأُسَر إلى النزوح عن دمشق، إما أسرى لتيمور، وإمَّا خوفًا من بطشه وفتكه، وكان من بين هذه الأسر، أسرة شهاب الدين ابن عربشاه.

---

١ الكواكب السائرة، لنجم الدين الغزي ١/ ٢١٣. وهدية العارفين، للبغدادي ١/ ١٥٣.

٢ الكواكب السائرة، لنجم الدين الغزي ١/ ٢١٣.

٣ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٤٥.

٤ الطبقات السنية، لتقي الدين الغزي ٢/ ٥٧.

٥ عمر ابن الشيخ شمس الدين محمد بن اللبان، المصري، أخذ القراءات عن والده وتصدر للإقراء. إنباء الغمر، لابن حجر ٣/ ٣٩٢.

٦ تفاصيل ذلك؛ عجائب المقدور لابن عربشاه، ٢٤٧ و ٢٩٥.

بداية من هذا التاريخ- أي مُنذ عام ٨٠٣هـ- بدأت رحلة ابن عربشاه مع أسرته إلى بلدان المشرق الإسلامي، ففي السنة نفسها، انتقل مع أسرته[١] إلى بلاد ما وراء النهر،[٢] واستقرّوا في سمرقند،[٣] وهي المحطّة الأولى من محطّات ابن عربشاه في هذه المرحلة.

أخذ ابن عربشاه عن كثيرٍ من علماء سمرقند، ومنهم السيد الشريف محمد الجُرْجَاني (ت ٨١٦هـ)[٤] نزيل سمرقند بمدرسة إيدكو تمور، والعلامة الشيخ شمس الدين محمد الجَزرِي (ت ٨٣٣هـ)[٥] نزيل سمرقند بباغ خدا، وقد سمع عليه الحديث، وأخذ عنه بعض مصنّفاته، ومنهم الخواجة عبد الأول[٦] وابن عمه الخواجة عصام الدين بن العلامة الخواجة عبد الملك،[٧] وكذلك أخذ عن الشيخ أحمد التِّرمذي الواعظ،[٨] وعن الشيخ أحمد القصير، وعن الشيخ حسام الدين الواعظ إمام مسجد «السيد الإمام»، وعن شيخه محمد البخاري الزاهد (ت ٨٢٢هـ).[٩]

وفي سمرقند أيضًا، وفي عام ٨٠٩هـ، لقي ابن عربشاه الشيخ العريان الأدهمي

١ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٧.

٢ بلاد ما وراء النهر: إقليم من أخصب أقاليم الأرض، وأنزهها وأكثرها خيرًا. صورة الأرض، لابن حوقل، ٣٨١-٣٩٢.

٣ سمرقند: مدينة تقع بين نهري سيحون وجيحون، كان يقال لها بالعربية: سمران، ولما عُرِّبت قيل: سمرقند، وصِفت بأنها من أعظم مدن ما وراء النهر. تقويم البلدان، لأبي الفدا، ٤٨٢. وصبح الأعشى للقلقشندي ٤/ ٤٣٦، و٤٣٧. ومعجم البلدان، لياقوت الحموي ٣/ ٢٤٦. وتاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، للساداتي، ٢٣.

٤ أبو الحسن علي بن محمد بن علي السيد الشريف الجُرْجَانِي الحسيني الحنفي، ولد في تاكو قرب جُرْجَان، ويعرف بـ«السيد الشريف»؛ لامتداد نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. البدر الطالع، للشوكاني ١ / ٤٨٨- ٤٨٩، والفوائد البهية، للكُنْوِي، ١٢٥- ١٢٧.

٥ الحافظُ العلامةُ شمسُ الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العُمَري، الدمشقي، ثم الشيرازي، الشافعي، المعروف بابن الجزري. طبقات الحفاظ للسيوطي، ٥٤٩. وهدية العارفين، للبغدادي ٢/١٨٧- ١٨٨.

٦ من صدور العلماء في دولة تيمورلنك، انتهت إليه الرياسة فيما وراء النهر بعد ابن عمه الخواجة عبد الملك. عجائب المقدور، لابن عربشاه، ٤٦٧.

٧ عصام الدين ابن الخواجة عبد الملك انتهت إليه رياسة العلماء في سمرقند بعد الخواجة عبد الأول سنة ٨٤٠هـ. عجائب المقدور، لابن عربشاه ص ٤٨٧.

٨ من حُفاظ القرآن المجوِّدين قراءةً وصوتًا الذين اجتمعوا في كائنة تيمورلنك بسمرقند. عجائب المقدور، لابن عربشاه ٤٦٨.

٩ محمد بن محمد بن محمود الحافظي البخاري الحنفي، المعروف بخواجة بارسا النقشبندي، الصوفي. هدية العارفين، للبغدادي ٢/ ١٨٣.

المعمَّر (ت ٨٣٨هـ)،[١] وفيها كذلك استفاد اللسان الفارسي والخط المغولي وأتقنهما.

انتقل الشهاب بمفرده بعد ذلك إلى بلاد الجَغَتَاي والخِطَا[٢] (بلاد المغول)، وفيها اجتمع بالشيخ برهان الدين الأَنْدُكَاني[٣] والقاضي جلال الدين السَّيْرامي وأخذ عنهما، وقرأ النحو على مولانا حاجي (ت ٨٢٠هـ)[٤] تلميذ السيد الشريف.

ومن بلاد المغول توجّه ابن عربشاه إلى خوارزم؛[٥] فأخذ عن المولى نور الله، وعن أعجوبة الزمان أحمد الواعظ بن شمس الأئمة السرائي،[٦] الذي كان يقال لَهُ إنه ملك الكلام فارسيًّا وتركيًّا وعربيًّا، ولعلّه أخذ عنه علم الكلام إذ كان السرائي من الوعَّاظ والمتكلِّمين.

اتجه ابن عربشاه بعد خوارزم إلى بلاد الدشت سراي، وحاجي ترخان،[٧] سنة ٨١٠هـ، فلازم حافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب بن يوسف الكُردي الخَوَارَزْمِي، المعروف بالبزَّازِي (ت ٨٢٧هـ) الفقيه الحنفي الأصولي، الذي كان يفتي بكفر تيمورلنك[٨] نحوًا من أربع سنين، وأخذ عنه الفقه، وأصوله، والمعاني، والبيان.

تزوّج الشهاب في بلاد الدشت سنة ٨١٢هـ، وأنجب فيها ابنه تاج الدين عبد الوهاب،

---

١ وصفه ابن عربشاه بأنه فقير أدهمي، بشكل بهي وعزم سمي، وذكر أنه عمَّر حتى بلغ من العمر ثلاثمائة وخمسين سنة، وقد ظلّت قامته مستوية وهيئته حسنة حتى إن من رآه يتصور أنه لم يبلغ أشده. عجائب المقدور، لابن عربشاه ٤٧٠.

٢ بلاد الجَغَتَاي والخِطَا: يقصد بها المناطق المترامية التي تمتد بين بلاد الإسلام والصين، والجَغَتَاي والخِطَا طائفتان من طوائف بدو المغول. معجم البلدان، لياقوت الحموي ٢٣/٢. وعجائب المقدور، لابن عربشاه هامش «٥»، ١٠٢- ١٠٣.

٣ لعله كمال الدين محمد بن أبي محمد حجاج بن يوسف بن عماد بن الغازي الأَنْدُكَانِي، المولود في المحرم سنة ٧٢٩هـ، وهو منسوب إلى أَندُكَان من قرى فرغانة. معجم البلدان، لياقوت الحموي ١/ ٣٥٥. وهدية العارفين، للبغدادي ٢/ ١٧٠.

٤ خضر بن علي بن مروان بن علي، حسام الدين الآيديني، المعروف بحاجي باشا، طبيب متكلم، من علماء الحنفية. هدية العارفين، للبغدادي ١/ ٣٤٧. والأعلام، للزركلي ٢/ ٣٠٧.

٥ خوارزم: أوله بين الضمة والفتحة والألف، كبرى مدن ما وراء النهر، وخوارزم ليس اسمًا للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها. معجم البلدان، لياقوت الحموي ٢/ ٣٩٥.

٦ ذكره ابن عربشاه في عجائب المقدور ضمن العلماء الذين عاشوا في كنف تيمورلنك. عجائب المقدور، لابن عربشاه ص ٤٥٥.

٧ عن هذه البلاد: صبح الأعشى، للقلقشندي ٤/ ٤٥٦. وتحفة النظار في غرائب الأمصار، لابن بطوطة، ٣٥٦.

٨ من تصانيفه: «الفتاوى البزازية»، و«شرح مختصر القدوري»، في فروع الفقه الحنفي، و«مناسك الحج»، و«آداب القضاء»، و«الجامع الوجيز». شذرات الذهب، لابن العماد ٨٣٧/١. والأعلام، للزركلي ٧٤٧/٢.

إذ يذكر السخاوي أن عبد الوهاب ولد في الثامن عشر من شهر شوال سنة ٨١٣هـ بحاج طرخان من دشت قبجاق.[١]

وفي قيريم[٢] وهي المحطة الخامسة من رحلة ابن عربشاه العلمية في مدن بلاد المشرق اجتمع بعلمائها، فدرس على أحمد بيروق، وعلى شرف الدين بن كمال القريمي (ت ٨٤٧هـ) شارح المنار،[٣] وأخذ عن محمود البلغاري (ت ٨٢١هـ)،[٤] وعن محمد اللب أبي، وعن عبد المجيد القريمي الشاعر الأديب صاحب قصّة يوسف المسماة «مؤنس العشاق» وهي منظومة تركية في قصّة يوسف وزليخا.

ب) في أَدِرْنَةَ[٥]

يشير عبد القادر يوالي إلى أنَّ ابن عربشاه عبر البحر الأسود فهبط أدرنة عاصمة مملكة العثمانيين سنة ٨١٥هـ،[٦] ولكن ابن عربشاه لم يذكر متى نزلها، والراجح أنه وصلها سنة ٨١٤هـ، ذلك أنه يقول: «ثم قطعت بحر الروم إلى مملكة ابن عثمان فأقمت بها نحوًا من عشر سنين... فلما انتقل إلى رحمة الله تعالى ابن عثمان سنة أربع وعشرين وثمانمائة توجهت إلى الوطن القديم»[٧] وما يعنينا هنا أنه قضى في أدرنة نحو عشر سنين لم ينقطع فيها عن الدرس والعلم.

ففي أَدِرْنَةَ جَالسَ ابن عربشاه المولى شَمْسَ الدِّين الفَنَاري (ت ٨٣٤هـ)،[٨] وهو أحد العلماء العارفين بالعربية والمعاني والقراءات، مع كثرة المشاركة في الفنون المختلفة، وقرأ كتاب «المِفتاح» للسَّكَّاكِي (ت ٦٢٦هـ) على برهان الدين حَيدرة الخَوافي (ت

١ الضوء اللامع، للسخاوي ٣: ٥/ ٩٧، وطرخان ترسم بالتاء والطاء.

٢ إقليم القرم. صبح الأعشى، للقلقشندي ٤/ ٤٥٩ وما بعدها.

٣ «منار الأنوار» هو كتاب في أصول الفقه الحنفي للإمام النسفي ت ٧٠١هـ وقد شُرح عدة شروح منها شرح شرف الدين ابن كمال القريمي الذي فرغ منه سنة ٨١٠هـ. كشف الظنون، لحاجي خليفة ٢/ ١٨٢٤.

٤ محمد بن محمود البلغاري الحنفي له «خزينة العلماء وزينة الفقهاء». هدية العارفين، للبغدادي ٢/ ١٨٣.

٥ تقع في أقصى الجهة الشمالية الغربية من الجزء الأوروبي للجمهورية التركية، بالقرب من حدود بلغاريا واليونان.

٦ Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

٧ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٤٢- ١٤٣.

٨ شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد بن محمد الرومي الفَنَاري، ولد سنة ٧٥١هـ. بغية الوعاة، للسيوطي ١/ ٩٧- ٩٨.

٨٥٤هـ)،[١] من أوله إلى آخره، وقرأ غير ذلك من العلوم العقلية والنقلية.

ج) في الشَّامِ

تُوفِي السلطان مُحَمَّدُ بنُ بَايَزِيد في سنة ٨٢٤هـ، ولم يمكث ابن عربشاه بعد وفاته في أَدِرْنَةَ، واختار العودةَ إلى موطنه الأول بلاد الشام،[٢] فدخل حلبَ يوم الجمعة عيد الأضحى من السنة نفسها، وهي سنة زادت فيها الاضطرابات والفتن في بلاد الشام ومصر، بسبب التطاحن على كرسي سلطنة المماليك بين أمرائهم، وقد اعتلى عرش سلطنتهم في هذا العام ثلاثة منهم،[٣] وكان من بين الأمراء المتمرّدين والي حلب «ابن قصروه»، فلم تعجب الحال في حلب ابن عربشاه؛ فأقام بها نحوًا من أربعة أشهر، ثم اتخذ قرارًا بالرحيل منها إلى دمشق سنة ٨٢٥هـ.[٤]

في دمشق، وبعد أن غاب عنها ما يزيد عن عشرين عامًا، لم يتوجّه شهاب الدين إلى أحدٍ، وكفّ قدم السعي في ذيل القناعة،[٥] قاصرًا وقته على المطالعة والدرس، فقرأ «صحيح مسلم» سنة ٨٣٠هـ على ابن الحبال الحنبلي.[٦]

وفي عام ٨٣٢هـ، قدم إلى دمشق العلامة علاءُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدٌ بنُ مُحَمَّدٍ ابنِ مُحَمَّدٍ البُخَارِيُّ (ت ٨٤١هـ)،[٧] من الحجاز الشريف، فانقطع إليه ابن عربشاه، ولازم خدمته، إلى أن تُوفي علاء الدين البخاري سنة ٨٤١هـ،[٨] وقد درس عليه ابن عربشاه الفقه، والأصلين، والمعاني، والبيان، والتصوّف، وغيرها، وكان مما قرأ عليه «الكافي» في الفقه و«البزدوي» في أصوله.[٩]

---

١ برهان الدين حيدرة بن محمد بن إبراهيم بن الشيرازي الخوافي تلميذ التفتازاني ت ٧٩١هـ المعروف بالصدر الهروي الحنفي، ولد سنة ٧٨٠هـ. هدية العارفين، للبغدادي ١/ ١٩٦.

٢ لم تذكر المصادر سببًا لهذا الاختيار.

٣ هم: المظفر أحمد بن المؤيد شيخ، ثم الظاهر طَطَر، وبعده ابنه الصالح محمد. النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ١٤/ ٤٧ و٧٨.

٤ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٤٣.

٥ المصدر السابق ٢/ ١٤٣.

٦ الضوء اللامع، للسخاوي١: ٢/ ١٢٨.

٧ تحدَّث عنه ابن عربشاه حديثًا مسهبًا في الجزء الأول من كتابه التأليف الطاهر ١/ ٦.

٨ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٤٣- ١٤٤.

٩ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٨.

د) فِي مِصْرَ

تزامنت وفاة الشيخ علاء الدين البخاري سنة ٨٤١هـ مع تغيُّر الأحوال في سلطنة المماليك البرجية، إذ تُوفي السلطان بَرسْبَاي (ت ٨٤١هـ) وترك ابنًا صغيرًا هو العزيز يوسف تحت وصاية الأمير جَقْمَق، ثُمَّ خلعه جَقْمَق سنة ٨٤٢هـ، ونُودِي به سلطانًا على المماليك،[١] وكان ابن عربشاه قد التقى جَقْمَق من قبل أثناء زيارة الأخير للشيخ علاء الدين البخاري سنة ٨٣٦هـ.[٢]

لم يُقم ابن عربشاه في القاهرة إقامة دائمة في أول توجُّهه إلى مصر، فابن تغري بردي يقول إنه: «تردد إلى القاهرة غير مرّة، وصحبني في بعض قدومه إلى القاهرة، وانتسج بيننا صحبة أكيدة ومودة»[٣] ويبدو أنه لم يستقرّ في مصر إلا في سنة ٨٥٠هـ، وقد نزل بالخانقاه الصلاحية بالقاهرة.[٤]

التقى الشهاب في مصر بكبار العلماء والأدباء والشعراء، ومنهم مؤرِّخ العصر المملوكي ابن تغري بردي، فأجاز ابن عربشاه له أن يروي مؤلفاته،[٥] كما التقى شمس الدين السخاوي، وكتب له بخطه مؤلفين من مؤلفاته هما: «العقد الفريد»، و«عقود النصيحة».[٦]

٧: الوظائف التي تولاها

عاش ابن عربشاه قرابة ثلاثة وستين عامًا جال فيها بين ممالك الإسلام في زمنه، وحصّل علومًا شتى أهَّلته لتولي وظائف مختلفة، يقول ابن عربشاه: «ولقد وفدتُ على أكابر ملوك زماني من الشرق والغرب وحاضرتهم، وخدمت أكثرهم في بلاد الجَغَتاي والخِطَا والهند والعجم والدشت والروم والترك والعرب، ولازمت مباشرة الوظائف

١ التأليف الطاهر، لابن عربشاه ٢/ ١٣.
٢ المصدر السابق ١/ ٦.
٣ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٣٢.
٤ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٩.
٥ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٣٤.
٦ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٩.

عندهم»[1] ويقول أيضًا: «والحاصل أنّي لم أخلَّ برؤيةِ أحدٍ ممن يُشار إليه من ملكٍ ولا سلطانٍ، ولا عالمٍ ولا شيخٍ، ولا كبيرٍ، على حسب ما يتفقُ، ولم يبق منصبٌ إلا وكان لي فيه نصيبٌ؛ من التدريسِ، والخطابةِ، والإمامةِ، والكتابةِ، والوعظِ، والتصنيفِ، والترجمةِ».[2]

لا تحدِّد المصادر التي تحدَّثت عن ابن عربشاه الوظائف التي تولّاها في بلاد المشرق الإسلامي، وإن كُنَّا نرجح من أقواله السابقة أنها وظائف التدريس والخطابة والإمامة والوعظ.

أمّا في أَدِرْنَةَ فإنه اتَّصل بالسلطان العثمانِي غياث الدين أبي الفتح محمد بن بَايَزِيد ابن مراد (ت ٨٢٤هـ)، المعروف بمحمد جلبي (Çelebi Mehmet)، فعلت منزلته عند السلطان، فولّاه ديوان الإنشاء، وقد أهَّلت معرفة ابن عربشاه باللسانين الفارسي والتركي والخطِّ المغولي، بالإضافة إلى العربي، أن يكتب عن السلطان إلى ملوك الأطراف عربيًّا وفارسيًّا وتركيًّا، فبالفارسية لـ«قرا يُوسُف» (ت ٨٢٣هـ) وغيره، وبالتركية لأمراء الدشت وسلطانها، وبالمغولي لـ«شاهروخ بن تيمور» (ت ٨٥١هـ) وَغَيره، وبالعربي للمؤيد شيخ المحمودي (ت ٨٢٤هـ).[3]

ويبدو أن ثقة السلطان محمد جلبي زادت في ابن عربشاه حيث جعله السلطان مُعلّمًا لأولاده، وكان من بينهم «مُراد خان» الذي أصبح سلطانًا للعثمانيين بعد ذلك.[4]

ويشير عبد القادر يوالي إلى أن السلطان غياث الدين عيَّن ابن عربشاه في الديوان الهمايوني،[5] وليس فيما كتبه ابن عربشاه ولا ما كتبه عنه غيره من المصادر ما يؤكّد ذلك أو ينفيه.

أما في دمشق بعد عودته إليها فَجَلَسَ بحانوت مَسْجِد الْقصب مَعَ شُهُوده يَسِيرًا

١ التأليف الطاهر، لابن عربشاه ١/ ٤١.
٢ الطبقات السنية، لتقي الدين الغزي ٢/ ٥٦.
٣ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٧.
٤ الطبقات السنية، لتقي الدين الغزي ٢/ ٥٦.
٥ Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

لكَون مُعظم أوقاته الانعزال عَن النَّاس،[١] فلما نزل مصر اتصل بالسلطان جَقْمَق، ويشير ابن تغري بردي إلى أنه «ولي عِدة وظائف دينية وولي قضاء حماة في بعض الأحيان»،[٢] أما السخاوي فينفي تولّيه قضاء حماة بقوله: «بل رأيت بعضهم ذكر أنه ولي قضاء حماة، وهو شيء لا أعتمده».[٣]

٨: مصنّفاته

رحلة علمية طويلة، وسياحة بين بلاد العالم الإسلامي المختلفة، وأساتذة ومشايخ حملوا علومًا كثيرة ومتنوعة، ووظائف ومسؤوليات، كلُّ ذلك أهَّل ابن عربشاه أن يكون متّسع الثقافة، متنوّع المواهب في التأليف والتصنيف، بل أن يصبح إمام عصره في المنظوم والمنثور، وهذا ما قاله معاصره وصديقه ابن تغري بردي، فقال عنه حين ترجمه: «الشيخ الإمام، العالم العلامة، المتفنِّن الأديب، الفقيه اللغوي، النحوي المؤرخ...كان إمام عصره في المنظوم والمنثور».[٤]

كذلك شهد له معاصره شمس الدين السخاوي، فقال عنه: «كان أحد الأفراد في إجادة النظم باللغات الثلاث: العربية والعجمية والتركية، جيّد الخط، جيّد الإتقان والضبط، عذب الكلام، بديع المحاضرة، مع كثرة التودُّد ومزيد التواضع، وعفَّة النفس، ووفور العقل والرزانة».[٥]

كما أشار تقي الدين الغزّي إلى ثناء الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) والمقريزي (ت ٨٤٥هـ) وغيرهما على ابن عربشاه، ونقل وصف أحدهم له بقوله: «الإمام العلاَّمة، أحد أفراد الدهر في الفضل، والنظم، والنثر، وعلم المعاني، والبديع، والنحو، والصرف، وغير ذلك».[٦]

لقد ساعد إتقان ابن عربشاه للغات الثلاث: العربية، والفارسية، والتركية، في

١ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٧.
٢ النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ١٥/ ٢٧٢.
٣ التبر المسبوك، للسخاوي ٣/ ٥٧.
٤ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٣/ ١٣١.
٥ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٩.
٦ الطبقات السنية، لتقي الدين الغزي ٢/ ٥٧.

الاطلاع على آداب هذه اللغات وعلومها، فامتاح من معينها؛ فنظَم وألَّف وترجَم، من هذه إلى تلك، وقد أتاح له ذلك أن يضع التّآليف المختلفة ما بين مترجمات ومنظومات ومنثورات «حيث تقدَّم في غالب العلوم وإنشاء النظم الفائق، والنثر الرائق».[1]

ويذكر عبد القادر يوالي من مؤلفات ابن عربشاه أربعة عشر مؤلَّفًا،[2] والواقع أنها تزيد عن ذلك، إذ هي تسعة عشر مؤلَّفًا في موضوعات متنوِّعة باللغات العربية والتركية والفارسية، ويمكن إجمال هذه المؤلفات على النحو الآتي:

كتبه العربية

١- «عَجَائِبُ المَقْدُورِ فِي نَوائِبِ تِيمُورَ»

وهو كتاب تتبَّع فيه ابن عربشاه تاريخ تيمورلنك من ابتدائه إلى انتهائه، ويغلب عليه الطابع الأدبي، ألَّفه في حدود سنة ٨٤٠هـ، وقد طبع الكتاب في ليدن بأوروبا في عام ١٦٣٦م مع ترجمة له إلى اللغة اللاتينية، وقد نُشر العمل المترجم إلى عدَّة لغات عدَّة مرات (استانبول ١١٤٢هـ، ١٢٧٧هـ، كلكتا ١٨١٢م، ١٨١٨م، ١٨٤٢م، ١٨٦٨م، لاهور ١٨٦٨م)، وفي مصر طُبع طباعة حجرية مرَّتين: الأولى عام ١٨٦٨م، والثانية في عام ١٨٨٨م، وفي عام ١٩٧٩م حقَّقه علي محمد عمر، وصدر عن دار الأنصار بالقاهرة، أما في سوريا فيشير أحمد فايز الحمصي إلى أنه حصل على مخطوطتين مضبوطتين للكتاب، فقام على تحقيقه متلافيًا أخطاء السابقين ممن حقَّقوه،[3] وصدر بتحقيقه عن مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بسوريا في سنة ١٩٨٦م.

٢- «التَّأْلِيفُ الظَّاهِرُ فِي شِيمِ المَلِكِ الظَّاهِرِ القَائِمِ بِنُصْرَةِ الْحَقِّ أَبِي سَعِيدٍ جَقْمَق»

وهو كتاب من جزأين في سيرة السلطان المملوكي جَقْمَق، ولكنه للأدب أقرب منه للتاريخ وبخاصَّة في جزئه الأول، وما زال مخطوطًا، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٨٠) مصوَّرة عن نسخة المعهد البريطاني بلندن التي أشار إليها

١ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٨.

٢ Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

٣ عجائب المقدور، لابن عربشاه، ص ١٠ من مقدمة المحقق.

بروكلمان،[١] وجورجي زيدان،[٢] وهذه النسخة تقع في ١٢٩ لوحة (٢٥٨ صفحة)، ومكتوبة بخطٍّ واضح، وتتبع نظام التعقيبة دون الترقيم، ولا خرم فيها، وبها تعليق بخط الجبرتي في الصفحة ١٩ من الجزء الأول؛ وإن كان بها بعض الكلمات القليلة المطموسة من أثر الحبر، وناسخها معروف وقريب عهد بالمؤلف، إذ نسخت على يد «أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان المتبولي الأنصاري»،[٣] ويشير عبد القادر يوالي إلى نسخة أخرى موجودة في متحف قصر توب كابي (Topkapı Sarayı) بمكتبة أحمد الثالث رقم (٢٩٩٢).[٤]

٣- «غُرَّةُ السَّيَرِ فِي دُولِ التُّرْكِ والتَّتَرِ»

لم يتمّه ابن عربشاه، ووصل إلى سنة ٨٥٣هـ، وهي السنة التي كتب فيها ترجمته وأرسلها إلى ابن تغري بردي.[٥]

٤- ترجمة «مَرْزَبَان نَامَه»

لمرزبان بن رستم، ترجمه من الفارسية إلى العربية للظاهر جَقْمَق،[٦] وقد طبع الكتاب طباعة حجرية في مصر سنة ١٢٨٧هـ.

٥- «فَاكِهَةُ الخُلَفَاءِ ومُفَاكَهَةُ الظُّرَفَاءِ»

وهو كتاب قصص على ألسنة الحيوانات، على شاكلة «كليلة ودمنة»، ألَّفه ابن عربشاه بعد «عجائب المقدور» وأهداه للسلطان الظاهر جَقْمَق، وقد طبع لأول مرة في مطبعة دير الآباء الدومانيكان في الموصل سنة ١٨٦٩م، وتوالت طبعاته بعد ذلك،[٧] ثم طُبع مؤخرًا بتحقيق الدكتور محمد رجب النجار، في سلسلة الذخائر التي تصدرها الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، سنة ٢٠٠٤م، مصدّرًا بمقدمة عن المؤلف والكتاب.

---

١ تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان ٦/ ١٠٥.

٢ تاريخ آداب اللغة العربية، لجورجي زيدان ١٤/ ٤٥٥.

٣ منسوب إلى متبول وهي قرية بالبحيرة، أخذ عن السيوطي، وابن حجر المكي، محدث، فقيه، مشارك في بعض العلوم، توفي ١٠٠٣هـ. الأعلام، للزركلي ١/ ٢٣٥.

٤ Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

٥ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٤٠.

٦ السابق ٢/ ١٢٨.

٧ فاكهة الخلفاء، لابن عربشاه، ٢٣ من مقدمة المحقق.

٦- و٧- منظومة «مِرآةُ الأَدَبِ فِي عِلْمِ المَعَانِي والبَيَان والبَدِيع» و«نَثْرُهَا»

وقد سلك فيها أسلوبًا بديعًا نظم فيه «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني، عمله قصائد غزلية، كلُّ باب منه قصيدة مفردة على قافية، وهي في نحو ألفي بيت، وقد «وقف عليها الحافظ ابن حجر، واستحسنها».[١] وأشار السخاوي إلى أن ابن عربشاه ألَّف هذا الكتاب نظمًا ونثرًا.[٢]

٨- «خِطَابُ الإِهَابِ النَّاقِبِ وجَوَابُ الشِّهَابِ الثَّاقِبِ»

وهو الكتاب الذي كان سببًا في سجنه، وهو مجموعة من المساجلات الشعرية في مسائل لغوية بينه وبين البرهان الباعوني وحميد الدين القاضي، أبان فيه عن حفظ كثير للغة، وكثرة اطلاع وغزارة فضل، وسبب وضعه أن الباعوني كتب له بستة أبيات التزم فيها بالظاء الممالة، واستوفى كثيرًا من اللغة، وكان قد وقع بينه وبين حميد الدين، فحصل للشهاب ستة أخرى قبل نظره في كتب اللغة وعملها في ستة أبيات؛ فعجب من كثرة اطلاعه وسعة دائرته، ثم كتب إليه بأبيات التزم فيها الراء قبل الألف والراء بعدها، وهكذا حتى أكمل الكتاب.[٣]

٩- منظومة «جِلْوَة الأَمْدَاحِ الجَمَالِيةِ فِي حُلَّتَي العَرُوضِ والْعَرَبِيَّةِ»

ذكرها ابن عربشاه بهذا الاسم في ملخّص سيرته الذي أرسله لابن تغري بردي وفيه بعض أبياتها،[٤] ويسمّيها عبد القادر يوالي «في حلّة العروض والعربية»،[٥] وهي قصيدة غزلية أنشأها في النحو والعروض باسم أحد أعيان الدولة،[٦] وعدد أبياتها مائة وثلاثة وثمانون بيتًا.[٧]

---

١ الطبقات السنية، لتقي الدين الغزي: ٢/ ٥٨.

٢ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٢٨.

٣ السابق ١: ٢/ ١٣٠- ١٣١.

٤ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٣٨.

٥ Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

٦ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٣٠.

٧ تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان: ٦/ ١٠٥.

١٠- منظومة «مُقَدِّمَة فِي النَّحْوِ»

ذكر ابن عربشاه بعضًا من أبياتها فيما أرسل به لابن تغري بردي،[١] وهي قصيدة غزلية أيضًا في نحو مائتي بيت.[٢]

١١و١٢- منظومة «عُقُود النَّصِيحَةِ» و«شرحها»

وهي منظومة تحدَّث فيها عن نسبه ورحلة حياته، ثم شرَحَها نثرًا،[٣] وقد أشرنا من قبل إلى أن حاجي خليفة يسميها «عنقود النصيحة».

١٣- «برهان الفارض بقول المعارض»

ذكره صاحب «هدية العارفين».[٤]

١٤و١٥- منظومة «العِقْدُ الفَرِيدِ فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ»، وشرحها «شَرْحُ السّلكِ الْفَرِيدِ»

كتب الشهاب كثيرًا من أبيات هذه المنظومة فيما أرسله لابن تغري بردي،[٥] ويشير السخاوي إلى أن هذه المنظومة في نحو مائتي بيت، وأن شرحها في مجلد،[٦] وقد فصَّل فيهما آراء المتكلمين في الاستدلال بالعقل على وجود الله.[٧]

كتبه غير العربية

١- التُّرْجُمَانُ المُتَرْجِمُ بِمُنْتَهَى الأَرَبِ فِي لُغَةِ التُّرْكِ والْعَجَمِ والْعَرَبِ

ذكره الشهاب بهذا الاسم،[٨] ويسمّيه حاجي خليفة «منتهى الإرب في لغة الترك والعجم

١ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٣٤- ١٣٦.
٢ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٣٠.
٣ الطبقات السنية، لتقي الدين الغزي ٢/ ٥٥.
٤ هدية العارفين، للبغدادي ١/ ١٣٠.
٥ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٣٩.
٦ الضوء اللامع، للسخاوي ١: ٢/ ١٣٠.
٧ التأليف الطاهر، لابن عربشاه ١/ ٣٦.
٨ المنهل الصافي، لابن تغري بردي ٢/ ١٣٦- ١٣٨.

والعرب»[1] وفي سلم الوصول «منتهى الأرب في لغة الترك والعجم والعرب»،[2] ويسميه البغدادي «ترجمان المترجم بمنتهى الأرب في لغة الترك والعجم والعرب»،[3] ويسميه الزركلي «منتهى الأرب في لغات الترك والعجم والعرب»،[4] ويسميه عبد القادر يوالي «الترجمان المترجم بمنتهي الأرب في لغات الترك والعجم والعرب»،[5] والمؤكّد أن الشهاب أعلم باسم كتابه.

والكتاب يشبه إلى حدٍّ كبير المعاجم مختلطة اللغات في عصرنا الحالي، حيث يذكر اللفظ في اللغة العربية، ثم يذكر مقابله في اللغتين التركية والفارسية، وهو ثلاثة أجزاء ما زالت مخطوطة، الجزء الأول منه في المكتبة الوطنية بباريس، والجزء الثاني في متحف قصر توب كابي بمكتبة أحمد الثالث رقم (٨٨)،[6] والجزء الثالث، له نسخة في دار الكتب المصرية، تحت رقم (١٩٤١).

٢- ترجمة «جَامِعُ الحِكَايَاتِ ولامِعُ الرِّوَايَاتِ»

والكتاب في أصله لجمال الدين محمد عوفي، وقد ترجمه ابن عربشاه في أدرنة للسلطان محمد بن بايزيد وأولاده من الفارسية إلى التركية في نحو ستة مجلدات، نظمًا ونثرًا.

٣- ترجمة «تَفْسِيرُ الإِمَامِ أَبِي اللَّيثِ السَّمرقندي»

ترجمه للسلطان العثماني محمد بن بايزيد من الفارسية إلى التركية، وموجود منه عدَّة نسخ في دار الكتب والوثائق المصرية، تحت أرقام (٥٤ تاريخ فارسي) و(٤ تفسير م تركي) و(٤ تفسير م تركي) و(٦ تفسير م تركي).

٤- ترجمة «تعبير القادري» «تعبير الرؤيا للدينوري»

ترجمه ابن عربشاه من العربية إلى التركية، أثناء وجوده في كنف السلطان محمد العثماني.

---

١ كشف الظنون، لحاجي خليفة ١/ ٣٧٩.

٢ سلم الوصول، لحاجي خليفة ١/ ٢١٥.

٣ هدية العارفين، للبغدادي ١/ ١٣٠.

٤ الأعلام، للزركلي ١/ ٢٢٨.

٥ Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX, 314

٦ Ibd.

الخاتمة

تناول البحث حياة الأديب المؤرخ شهاب الدين ابن عربشاه الدمشقي (ت ٨٥٤هـ) وآثاره من خلال المصادر العربية والموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي، وقد تبيَّن من خلال البحث والمقارنة في هذه المصادر عدة نتائج، أهمها:

- إهمال المصادر التي ترجمت لابن عربشاه للحديث عن طفولته المبكِّرة في دمشق، وحياته الأسرية، وتركيزها على رحلاته العلمية والمشايخ الذين قابلهم وتتلمذ على أيديهم.
- اتساع ثقافة ابن عربشاه وتعدُّد رحلاته في طلب العلم وأساتذته بين دمشق ومدن المشرق الإسلامي وبلاد العثمانيين.
- تعدُّد مؤلفات ابن عربشاه وموضوعاتها بين التاريخ والأدب واللغة والفلسفة والعقيدة وعلم الكلام.
- تعدُّد وظائف ابن عربشاه التي تولّاها خلال عمره الممتّد زمنيًّا نحو ثلاثة وستين عامًا، وجغرافيًّا بين أقطار العالم الإسلامي في هذا الوقت: الشام، ومدن المشرق، وبلاد العثمانيين، ومصر.
- وجود اختلافات عديدة بين ما ورد في الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي عن ابن عربشاه وما ورد عنه في المصادر العربية الأصيلة، وبخاصة منها ما كتبه ابن عربشاه بنفسه عن نفسه، وما كتبه عنه أصدقاؤه من أمثال ابن تغري بردي والسخاوي والسيوطي، ولا بدَّ من تصحيح هذه المعلومات واستكمالها فيما سيصدر من طبعات الموسوعة بعد ذلك.
- لابن عربشاه كتب لم تحقَّق إلى الآن مع وجود نسخ منها، ومنها كتب ذات أهمية خاصة لأنها تجمع بين ثلاث لغات، وأعني كتابه «التُّرْجُمَانُ المُتَرْجِمُ بِمُنْتَهَى الأَرَبِ فِي لُغَةِ التُّرِكِ والْعَجَمِ والْعَرَبِ».

قائمة المصادر والمراجع

- **إنباء الغمر بأبناء العمر**، لابن حجر العسقلاني، ت حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- **الأعلام «معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين»**، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، لمحمد بن علي الشوكاني، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٤٨هـ.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، للحافظ جلال الدين السيوطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٢، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٨م.
- **التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق أبي سعيد جَقْمَق**، لابن عربشاه، مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية، تحت رقم ٥٨٠.
- **تاريخ آداب اللغة العربية**، لجورجي زيدان، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٢م.
- **تاريخ الأدب العربي**، لكارل بروكلمان، القسم السادس، أشرف على ترجمته: محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.
- **تاريخ الأدب العربي**، لعمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- **تاريخ الأدب العربي «عصر الدول والإمارات»**، لشوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
- **تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها**، لأحمد محمود الساداتي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م.
- **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، للحافظ شمس الدين السخاوي، ت لبيبة إبراهيم مصطفى ونجوى مصطفى كامل، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق المصرية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، لابن بطوطة، باريس، ١٨٨٠م.
- **تقويم البلدان**، لأبي الفدا، دار صادر، بيروت، ١٨٥٠م.
- **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، لحاجي خليفة، ت محمود عبد القادر الأرناؤوط إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي،مكتبة إرسيكا، استانبول، ٢٠١٠م.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد الحنبلي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، للقلقشندي، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٩١٩م.
- **صورة الأرض**، لابن حوقل النصيبي، ت الناشر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت.
- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، للحافظ شمس الدين السخاوي، دار الجيل، بيروت، ط١،

١٤٢١هـ/ ١٩٩٢م.

- **طبقات الحفاظ**، للحافظ جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**، لتقي الدين الغزي، ت عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي الرياض ودار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- **طبقات النسابين**، لبكر أبو زيد، دار الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- **عجائب المقدور في نوائب تيمور**، لابن عربشاه، ت أحمد فايز الحمصي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٨٦م.
- **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، لمحمود رزق سليم، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٥٥م.
- **فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء**، لابن عربشاه، ت محمد رجب النجار، سلسلة الذخائر (العدد ٩٤) الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م.
- **فن القص في مؤلفات ابن عربشاه الأدبية (ت ٨٥٤هـ)**، لرجب عبد الوهاب، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٤م.
- **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، لمحمد عبد الحي اللَّكْنَوِي، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لحاجي خليفة، اعتنى بطبعه وتصحيحه: محمد شرف الدين ورفعت بيلكه، دار العلوم الحديثة، بيروت، د. ت.
- **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، لنجم الدين الغزي، ت جبريل جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٢م.
- **معجم البلدان**، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، لابن تغري بردي، ت محمد محمد أمين، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، لابن تغري بردي، قدَّم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- **النصيحة المختصة**، لابن الحبال الحنبلي، ت عبد الستار أبو غدة، دار الأقصى، القاهرة، ١٤١٢هـ.
- **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، للحافظ جلال الدين السيوطي، حرَّره: الدكتور فيليب حتى، المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك، ١٩٢٧م.
- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل باشا البغدادي، استانبول، ١٩٥١م.
- Abdülkadir Yuvalı, "İbn Arabşâh", DİA, 1999, XIX.